COPYRIGHT© INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

تسامح الإسلام مع النصارى في القدس العهد العمري أنموذجاً: دراسة تحليلية نقدية

إعداد

زانا محمد أمين سعيد

بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث (أصول الدين ومقارنة الأديان)

قسم أصول الدين ومقارنة الأديان
كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية
الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

فبراير ٢٠١٧م

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع تسامح الإسلام مع نصارى مدينة القدس، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان الهدف من ذلك إثبات سماحة الإسلام خصوصًا مع النصارى، وفي عهد تأسيس الحكم الإسلامي في القدس، ودفع الشبهات التي تثار حول هذا الموضوع، وتصحيح مفهوم التسامح للذين أخطأوا فيه بالإفراط أو التفريط. واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، والتاريخي، والتحليلي، والنقدي، حيث قام بجمع نصوص القرآن، والسنة، والوقائع التاريخية، وتحليلها بالاعتماد على كتب التفاسير، وشروح الحديث، والباحثين المعاصرين، ونقد ما يحتاج إلي نقد من الوقائع التاريخية. وقد اشتمل هذا البحث على بيان مفهوم التسامح في الإسلام، ومشروعيته في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذكر مظاهر التسامح الإسلامي وضوابطه، ثم تطرق إلى تاريخ القدس وعلاقة النصارى والمسلمين بها، ومكانتها في الديانتين، وذكر المواجهات بين الطائفتين منذ عصر الرسالة حتى فتحها في عهد عمر بن الخطاب عام (١٦هـ)، مع ذكر أسبابها، ونتائجها، وشرع البحث في عملية فتح القدس، وكيفية الصلح، ودخول المسلمين فيها، وبيّن تسامح الفاتحين في مقدمات الفتح، وعند دخولهم للمدينة، ثم تطرق إلى وثيقتين تاريخيتين، أولاهما: العهدة العمرية التي كُتبت لنصارى القدس، مع دراسة بنودها، وبيان التسامح في حقوقهم، وواجباتهم، والثانية: الشروط العمرية، مع بيان ضعفها من الناحية التاريخية. ومن أهم ما توصل إليه البحث من النتائج عناية الإسلام الفائقة بالتسامح مع غير المسلمين، بشروط وضوابط محددة، كما أشارت إليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن الفاتحين المسلمين تعاملوا مع نصارى القدس المغلوبين بتسامح، ورفق، مما جعل النصارى يفرحون بقدومهم إلى القدس، وأن مجموعة من المؤرخين والباحثين النصارى شهدوا على هذه الحقيقة، وأن ماينسب إلى عمر من الوثائق، والمعاملات القاسية مع النصارى لا يثبت شيء منها.

ABSTRACT

This research addresses the principle of Islamic tolerance portrayed and manifested during the time of the caliph ʿUmar ibn al-Khaṭṭāb, in his dealing with Christians of al-Quds (Jerusalem). The primary objective of the research is to substantiate the establishment of such tolerance, particularly in dealing with Christians during Islamic rule in al-Quds. Its aim is also to clarify misconceptions enfolding the principle of tolerance in Islam, expressed by those who are trapped in the modes of excessiveness (*ifrāṭ*) and laxity (*tafrīṭ*) in comprehending the idea. The research applies inductive, historical, analytical and critical approach of study. Data from Qur'ānic text, Ḥadīth as well as historical facts were gathered and analyzed by extensive consultations of books of tafsīr and *shurūḥ* al-Ḥadīth (explanations of Ḥadīth), works of contemporary scholars and critical appraisals of historical facts. The research commences with the conceptualization of tolerance in Islam, its justifications in the Qur'ān and Sunnah, followed by examples of tolerance and its limitations. The discussion continues by investigating historical milestones related to al-Quds, the status of al-Quds in Islam and Christianity and also encounters between Muslims and Christians of al-Quds beginning from the time of the Prophet until the expansion of Islam during the time of ʿUmar ibn al-Khaṭṭāb. The research further addresses the conquest of the city by ʿUmar ibn al-Khaṭṭāb and its causes. It highlights the peace treaty between Muslims and Christians of al-Quds introduced by the Caliph known as the Treaty of ʿUmar which contains, among others, articles related to the rights and duties of two parties. The study also delves into another treaty associated with ʿUmar known as *al-Shurūṭ al-ʿUmariyyah* and suggests that its association with ʿUmar as unsubstantiated. The research findings conclude the tolerance par excellence in relationship between Muslims and non-Muslims with certain provisions, as enshrined in the Qur'ān and Sunnah. Tolerance has been established by Muslims upon the expansion of Islam in al-Quds, where the spirit of forbearance and cheer engulfed the Christians upon the arrival of the Muslim's. The fact was testified even by Christian historians and researchers. Thus, any attempt to relate ʿUmar ibn al-Khaṭṭāb with maltreatment towards Christians remains groundless.

APPROVAL PAGE

The dissertation of Zana Mohamed Ameen Saeed has been approved by the following:

_____
Maziah Mustapha
Supervisor

_____
Noor Amali Mohd Daud
Co-Supervisor

_____
Jamal Ahmed Bashier Badi
Internal Examiner

_____
Mohammad al-Ghazali
External Examiner

_____
Engku Ahmad Zaki Engku Alwi
External Examiner

_____
Thameem Ushama
Chairperson

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that is has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Zana Mohamed Ameen Saeed

Signature: ……..……..…… Date: …...…….

الجامعة الإسلامية العالمية–ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٧م محفوظة لـ: زانا محمد أمين سعيد

تسامح الإسلام مع النصارى في القدس العهد العمري أنموذجاً: دراسة تحليلية نقدية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.

٢- يكون للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكتبتها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسساتية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض البيع العام.

٣- يكون لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.

٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.

٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالبين به.

أكد هذا الإقرار: زانا محمد أمين سعيد

التوقيع:..... التاريخ: .....

إلى اللّذين ربّياني، ولكن مع الأسف لم يريا ثمرة غرسهما
أبي وأمي، رحمهما الله، وفاءً لهما وبراً.

إلى رفيقة الدرب، وشريكة الحياة، حلوّها ومرّها
زوجتي، وفاءً، أفاض الله عليها الصحة والعافية.

إلى فلذات كبدي
أولادي، محمد، ونهى، ونسيم، ونمه.

إلى من أناروا طريقي
شيوخي، وأساتذتي في مسيرتي العلمية.

إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

في البدء أحمد الله تعالى على جميع نعمه عليّ، ولا سيّما نعمة الإيمان والعلم، وعلى ما وفقني ويسّر لي إنجاز هذا البحث، فله وحده الفضل أولًا وآخرًا.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى لجنة الإشراف، كلٍّ من الأستاذ الدكتور تميم أسامة، والأستاذة المساعدة الدكتورة مازية مصطفى، والأستاذ المساعد الدكتور نور أمالي محمد دأود، الذين قبلوا الإشراف على بحثي هذا، ولم يبخلوا عليّ بعلمهم، فجزاهم الله عنّي خير الجزاء.

وأشكر جميع العاملين على قسم أصول الدين ومقارنة الأديان، من رئيس القسم، والأساتذة، والموظفين، لما أعانوني في أيام دراستي.

وأقدم شكري وتقديري للأساتذة الأفاضل المناقشين، لما سيبدونه من ملاحظات وجيهة لتقويم الرسالة.

وأتقدم بالشكر والتقدير إلى موظفي المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية العالمية- ماليزيا، والمكتبة العامة، ومكتبة الأوقاف بمدينة السليمانية، الذين فتحوا لي باب مكتباتهم، وأعانوني في تحصيل المصادر.

والشكر موصول إلى كل من ساندني في إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد زين الذي ساعدني في وضع العنوان، وكتابة الخطة، فجزاهم الله خير الجزاء.

وأخيرًا أتوجه بشكري إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في حكومة إقليم كردستان العراق، لما رأوني أهلًا لدراسة الدكتوراه، واختاروني ضمن البعثة الدراسية.

فهرس محتويات البحث

ملخص البحث .....ب

ملخص البحث باللغة الانجليزية .....ج

صفحة القبول .....د

صفحة التصريح .....هـ

صفحة الإقرار بحقوق الطبع .....و

الإهداء .....ز

الشكر والتقدير .....ح

الفصل الأول: المدخل إلى البحث ١

المقدمة ١

مشكلة البحث: ٣

أسئلة البحث: ٤

أهداف البحث: ٤

أهمية البحث: ٤

حدود البحث: ٥

منهج البحث: ٥

الدراسات السابقة: ٦

مصطلحات البحث: ١٨

الفصل الثاني: مفهوم التسامح وفضله ومظاهره وضوابطه ٢٠

المبحث الأول: مفهوم التسامح لغةً واصطلاحًا ٢٠

المطلب الأول: معنى التسامح لغة ٢٠

المطلب الثاني: تعريف التسامح اصطلاحًا.....٢٢
المبحث الثاني: التسامح في القرآن والسنة ٢٧
المطلب الأول: التسامح في القرآن الكريم ٢٧
المطلب الثاني: التسامح في السنة النبوية ٣٢
المبحث الثالث: مظاهر التسامح الإسلامي ٣٧
المطلب الأول: حرية العقيدة ٣٨
المطلب الثاني: الوسطية.....٤٠
المطلب الثالث: إلغاء الطبقية والتمييز العنصري.....٤١
المطلب الرابع: الرحمة الواسعة.....٤٥
المطلب الخامس: الوفاء بالعهود والمواثيق ٤٧
المطلب السادس: الاختلاط والمعايشة ٤٩
المطلب السابع: الهداية ٥١
المبحث الرابع: ضوابط التسامح الإسلامي ٥٤
المطلب الأول: مراعاة الولاء والبراء.....٥٥
المطلب الثاني: الالتزام بالعدل في معاملة غير المسلمين.....٥٩

الفصل الثالث: القدس، تاريخها، ومكانتها في النصرانية والإسلام ٦٣
المبحث الأول: القدس منذ إنشائها إلى دخول بني إسرائيل فيها.....٦٣
المطلب الأول: إنشاء مدينة القدس وأسماؤها ٦٣
الفرع الأول: إنشاء مدينة القدس ٦٣
الفرع الثاني: أسماء مدينة القدس ٦٦
المطلب الثاني: الأمم والشعوب التي سكنت القدس منذ بنائها إلى
دخول بني إسرائيل فيها.....٧٢
أولاً: الكنعانيون ٧٢
ثانيًا: العموريون ٧٣

ثالثًا: الهكسوس ٧٣
رابعًا: الفلستينيون أو الفلسطينيون ٧٤
المبحث الثاني: القدس منذ دخول بني إسرائيل إليها إلى الفتح الإسلامي ٧٦
أولًا: محاولة موسى عليه السلام لدخول القدس.....٧٦
ثانيًا: يوشع بن نون عليه السلام ودخوله إلى القدس ٧٩
ثالثًا: عهد القضاة ٨٠
رابعًا: عهد الملوك ٨٢
خامسًا: عهد الانقسام وزوال الملك.....٨٥
سادسًا: الحكم الفارسي ورجوع اليهود إلى القدس ٨٨
سابعًا: الحكم الروماني إلى الفتح الإسلامي ٩٠
المبحث الثالث: المسيح عليه السلام في القدس، ومكانتها في النصرانية ٩٣
المطلب الأول: حياة المسيح في القدس وفقًا لمصادر النصارى.....٩٣
المطلب الثاني: مكانة مدينة القدس في النصرانية ٩٧
المبحث الثالث: مكانة القدس في الإسلام ٩٩
المطلب الأول: مكانة القدس في القرآن الكريم.....١٠٠
المطلب الثاني: مكانة القدس في السنة.....١٠٣

الفصل الرابع: الفتح الإسلامي للقدس ومظاهر التسامح فيه.....١٠٧
المبحث الأول: مقدمات الفتح الإسلامي للقدس في عصر الرسول ﷺ ١٠٧
أولاً: غزوة دومة الجندل.....١٠٩
ثانيًا: سريتي زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى حِسمَى ووادى القرى.....١١٠
ثالثًا: سريّة عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى دومة الجندل ١١١
رابعًا: رسائل النبي ﷺ إلى أمراء النصارى في الشام وحلفائهم.....١١١
خامسًا: بعثة كعب بن عمير رضي الله عنه إلى ذات أطلاح ١١٤
سادسًا: سرية مؤتة.....١١٤

سابعًا: سرية ذات السلاسل.....١١٧
ثامنًا: غزوة تبوك.....١١٨
تاسعًا: إعداد بعث أسامة بن زيد رضي الله عنه.....١٢٠
المبحث الثاني: مقدمات الفتح الإسلامي للقدس وفتحها في عصر
الراشدين.....١٢١
المطلب الأول: مقدمات الفتح الإسلامي للقدس في عصر أبي بكر
الصديق رضي الله عنه.....١٢١
أولاً: إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه.....١٢١
ثانيًا: تسيير أربعة جيوش نحو الشام.....١٢٣
ثالثًا: معركة أجنادين.....١٢٤
المطلب الثاني: فتح القدس في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.....١٢٥
أولاً: معركة فحل – بيسان.....١٢٥
ثانيًا: معركة اليرموك.....١٢٦
ثالثًا: فتح بيت المقدس.....١٣٠
المبحث الثالث: مظاهر التسامح في الفتح الإسلامي للقدس ومقدماته: ١٣٦
أولًا: الحرص على هداية الأمم المفتوحة.....١٣٦
ثانيًا: ترك المغلوبين وما يدينون.....١٣٩
ثالثًا: الرحمة والرفق في المواجهات.....١٤١
رابعًا: الوفاء بالعهود.....١٤٣
خامسًا: المعايشة والاختلاط مع المغلوبين.....١٤٤
سادسًا: تجنب العنصرية.....١٤٥
المبحث الرابع: تعامل عمر مع أهل القدس وشهادات النصارى على
تسامح الفاتحين.....١٤٦
المطلب الأول: مواقف من تسامح عمر بعد الصلح.....١٤٦
أولاً: التواضع.....١٤٧

ثانيًا: الحرص على حفظ أموال النصارى.....١٤٨
ثالثًا: احترام الكنائس ودور العبادة.....١٤٨
رابعًا: إعفاء العاجزين عن الجزية، وتأسيس نظام الضمان
الاجتماعي ١٤٩
المطلب الثاني: شهادات النصارى على تسامح الفاتحين.....١٥٠

الفصل الخامس: العهدة العمرية والشروط العمرية، ثبوتهما، ومضمونهما ١٥٥
المبحث الأول: العهدة العمرية، ثبوتها، ومضمونها ١٥٥
المطلب الأول: روايات العهدة العمرية ١٥٦
المطلب الثاني: تحليل روايات العهدة العمرية.....١٦٢
المبحث الثاني: تسامح الإسلام مع النصارى في العهدة العمرية ١٦٨
المطلب الأول: حقوق نصارى القدس في العهدة العمرية.....١٦٩
أولاً: الحقوق الشخصية ١٦٩
ثانيًا: حق حرية العقيدة والعبادة والرأي.....١٧١
ثالثًا: الحقوق الاقتصادية.....١٧٨
المطلب الثاني: واجبات نصارى القدس في العهدة العمرية.....١٧٩
أولاً: تعريف الجزية ١٨٠
ثانيًا: دليل مشروعيتها.....١٨١
ثالثًا: الذين تشملهم الجزية من الكفار ١٨٢
رابعًا: مقدار الجزية ووقت أدائها ١٨٤
خامسًا: مسقطات الجزية.....١٨٥
سادسًا: علة إيجاب الجزية ١٨٨
سابعًا: تسامح الإسلام في الجزية ١٨٨
المبحث الثالث: الشروط العمرية، ثبوتها، ومضمونها ١٩١
المطلب الأول: روايات الشروط العمرية ١٩٣

المطلب الثاني: مضمون الشروط العمرية ١٩٩

الخاتمة ٢٠٧

أولاً: النتائج ٢٠٧

ثانيًا: التوصيات.....٢٠٩

قائمة المصادر والمراجع ٢١٠

المراجع العربية: ٢١٠

الفصل الأول
المدخل إلى البحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد! إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بمختلف أشكالهم وألوانهم وألسنتهم، وأسكنهم في الأرض ليعمرّوها ويعيشوا فيها بسلام وأمان، وأعطاهم الحرية في اختيار ما يدينون، ولم يكرههم على الحق، ومع ذلك بيّن لهم طريق الحق، والدين الذي يرضاه، ويأمر باتباعه والتمسك به، وهو الإسلام، ذلك الدين الذي جعله الله سبباً لسعادتي الدنيا والآخرة؛ لأنه يتصف بصفة الكمال التي تميزه عن الأديان والمذاهب الأخرى، وذلك لأن مصدره هو خالق البشر أجمعين، وسلم من التحريف والتبديل.

وقد راعى الإسلام في أوامره ونواهيه وأحكامه حقوق جميع المخلوقات؛ لأن مصدر وجودهم وبقاءهم إله واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، فالخير كله في الإسلام، وهو بريء من كل شر وباطل وظلم، وإن صدر من مسلم منتسب إليه.

ومن أبرز مميّزات الإسلام التسامح واليسر والبعد عن التعصب والحرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وهذا اليسر يكون في كل مجالات الحياة ومع كل ذي روح يعيش على وجه المعمورة، بل وحتى مع النباتات والجمادات.

والرسول ﷺ الذي يُعتبر المفسر الأول للقرآن وتعد أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته مصدراً للتشريع، كان قدوة وأسوة في التسامح والرحمة للعالمين جميعاً، وهذه الرحمة هي إحدى أهداف إرساله إلى البشرية، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إني أُرسلتُ بحنيفيّة سَمْحَة»[1].

---

[1] أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، مسند عائشة بنت الصديق، رقم الحديث: ٢٤٨٥٥، ج٤١،

وبناءً على ذلك فقد شملت سماحة الإسلام ورفقه جميع الناس من المسلمين وأهل الكتاب والمشركين أيضاً، وقد طبق الرسول ﷺ تلك السماحة على الوجه الأحسن، واستمرّ الخلفاء الراشدون ﷺ والمسلمون من بعدهم على هذا النهج، حيث كانوا يعترفون بوجود الآخرين؛ ولذلك نرى أن غير المسلمين عاشوا في رحاب الدولة الإسلامية في أمان، وكانوا يتمتعون بكل حقوقهم الإنسانية.

فإن إحدى الطوائف التي كانت تعيش في ظل الحكم الإسلامي هي النصارى، فمنذ العصر النبوي وإلى يومنا هذا كان النصرانيون يعيشون في بلاد الإسلام كجزء من أهل الذمة، لهم حقوقهم وعليهم واجباتهم، وكل ذلك مضمون لهم في القرآن والسنة والعهود والمواثيق المكتوبة من قبل الخلفاء الراشدين، وهذه الحقيقة يعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء، يقول برنالد لويس[٢]: "وفي نظرة المسلمين إلى المسيحية تسامح وتساهل أكثر بكثير ممّا في نظرة أوروبا المسيحية المعاصرة التي تنظر إلى الإسلام على أنه كله باطل وشر، وهذه النظرة المتسامحة من المسلمين تنعكس في المعاملة الحسنة والتسامح الكبير الذي يلقاه أتباع الديانة المسيحية في المجتمعات الإسلامية بالرغم من موقف المسيحيين كديانة منافسة"[٣]، وهذا إقرار صادر من مستشرق لا ينتمي إلى الإسلام، بل كان يعمل ليل نهار لتشويه صورته، ولكن مع ذلك لا يستطيع إنكار سماحة الإسلام.

ويصرح القرآن بأن النصارى من أقرب الناس محبة إلى المسلمين من بين الأمم الذين لايدينون بديانة الإسلام، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ

ص٣٤٩، قال ابن حجر: وهذا الإسناد حسن. أحمد بن على، ابن حجر العسقلاني، **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ)، ج٢، ص٤٣.

[٢] وُلد عام ١٩١٦، وحصل على الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٣٩، وهو أستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون، وأستاذ زائر في كاليفورنيا، وكولومبيا، وإنديانا، وعضو شرف في الجمعية التاريخية التركية، وعضو الجمعية الفلسفية الأمريكية، والمعهد الملكي للشؤون الدولية، وعدد آخر من الجمعيات العلمية والعالمية. (في مقال أحمد عبدالوهاب على، نشر في شبكة الألوكة الثقافية، بتاريخ٢٦/٨/٢٠١٤). http://www.alukah.net/culture/0/75120

[٣] نقله عن كتابه (الغرب والشرق الأوسط) الذي بحثت عنه كثيرًا ولم أجده: عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف الحسين، **تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام** (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص٧٦.

﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:٨٢]، ويظهر أثر ذلك جلياً من خلال المعايشة الفعلية التي كانت ولاتزال بين المسلمين والنصارى.

وإن مفهوم التسامح من المفاهيم التي تذكر كثيراً في عصرنا الحاضر ولكن-مع الأسف- في غير محله، فيوصف المتعصب بالمتسامح، والمتسامح بالمتعصب، وقد أحببت أن أبذل جهداً في إثبات من هو أهل لهذا المصطلح من خلال بحثي الموسوم (تسامح الإسلام مع النصارى في القدس، العهد العمري أنموذجاً)، وذلك لبيان الحقيقة، ودفع الشبهات حول ما حدث من تسامح المسلمين مع النصارى، وإظهار سماحة الإسلام في تلك المدينة وفي ذلك التاريخ.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في فهم بعض المسلمين لمعنى التسامح سواء كان بالإفراط أو بالتفريط، حيث نجد أن هناك من يفرِّطون في معنى التسامح ويضيّقون دائرته، وذلك بممارستهم الخاطئة لأحكام الإسلام، ولا يراعون في تصرفاتهم رحمة الإسلام وسماحته مع غير المسلمين، فيأتون بأحكام الحرب والمحاربين ويطبقونها في حالة السلم ومع المسالمين، معتمدين على التفسيرات المرجوحة لبعض النصوص الثابتة، أو نقل ما لا يثبت صحته في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وهناك أيضًا من يُفرِطون في معنى التسامح، ويوسّعون دائرته دون مراعاة ضوابطه من الولاء والبراء، وتطبيق عدالة الإسلام، وينكرون بعض الأحكام المتعلقة بغير المسلمين بحجة التسامح، وسوف يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التي تثار حول سماحة الإسلام، ويهدف إلى إثباتها من جهة، ومن جهة أخرى معالجة التصورات الخاطئة للنصوص المتعلقة بأحكام أهل الذمة، ونقد ما ورد في كتب الفقه ونسب إلى عمر بن الخطاب ﷺ ولم تثبت صحته، وذلك خلال دراسة الفتح الإسلامي للقدس والعهد الذي كتبه الخليفة عمر بن الخطاب بخصوص حقوق النصارى وواجباتهم.

أسئلة البحث:

سوف يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما المراد بالتسامح الإسلامي؟ وما مظاهره، وضوابطه؟

٢- ما علاقة النصارى والمسلمين بالقدس؟

٣- كيف كان الفتح الإسلامي للقدس؟ وكيف تسامح الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مع النصارى عند فتح القدس؟

٤- ما العهد الذي كتبه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ للنصارى في القدس؟ وهل كل ما ينسب إليه في ذلك صحيح؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

١- بيان مفهوم التسامح ومظاهره وضوابطه.

٢- بيان علاقة النصارى والمسلمين بالقدس.

٣- بيان كيفية الفتح الإسلامي للقدس، وتسامح الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مع النصارى عند فتحها.

٤- بيان العهد الذي كتبه لهم، وتحليله، ونقد مانسب إليه ولم تثبت صحته.

أهمية البحث:

إن البحث في موضوع التسامح يحظى بأهمية كبيرة في عصرنا هذا، وفيما يأتي جملة من أسباب أهمية دراسة موضوع التسامح:

١- إن مصطلح التسامح من المصطلحات التي يعرّفها المسلمون بتعريفات مختلفة، يكاد يفقد معناه الحقيقي، حيث نرى تضييقا لدائرة التسامح من بعضهم، وتوسّعاً مفرطاً مخلّاً بضوابط الولاء والبراء من آخرين، وهذا البحث يهدف إلى تعريف التسامح الإسلامي بتعريف جامع ومانع مع ذكر مظاهره وضوابطه.

٢- هناك محاولة جادّة لإبعاد التسامح عن الإسلام، وإثبات تشويه صورته وتاريخه أمام العالم، وذلك بإبراز الأحكام الخاصة بحالة الحرب دون تفسيرها، والأحداث التي لا تثبت صحتها والتي أدخلت في التاريخ الإسلامي، وأهمية بحثنا هذا تأتي في إثبات سماحة الإسلام، وتصحيح التفسيرات الخاطئة، وتفنيد الشبهات المثارة حول سماحة الإسلام.

٣- إن التعايش والعلاقة التاريخية بين المسلمين والنصارى أثرت تأثيراً بالغاً في دخول النصارى إلى الإسلام، ممّا حمل المستشرقين والمنصرين أن يحاولوا زعزعة العلاقة بينهم، وإدخال الرعب في قلوب النصارى كي يبتعدوا عن المسلمين، وتأتي أهمية هذا البحث في إثبات هذه العلاقة وهذا التعايش.

٤- إن العهدة العمرية والشروط العمرية هما الوثيقتان اللّتان تنسبان إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بخصوص النصارى في القدس، وفي الشام، وفيما أعلم أنهما لم يعطيا حقهما في الدراسة والبحث، فأهمية هذا البحث تأتي في دراسة هاتين الوثيقتين وبيان حقوق وواجبات النصارى فيهما تجاه الدولة الإسلامية.

حدود البحث:

إن حدود البحث ينحصر في بيان مفهوم التسامح، وإثبات سماحة المسلمين في كل المجالات ومع الناس عامة، والإتيان بالأدلة على ذلك من القرآن والسنة، والتركيز على تسامح الإسلام مع النصارى، وضمان حقوقهم في المجتمع الإسلامي، وللبحث حدود مكانية وهو القدس، وحدود زمانية وهو زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حيث فتح فيه، والذي يعتبر زمن تأسيس الحكم الإسلامي فيها، وكذلك العهد الذي كتبه الخليفة للنصارى وآثار بنود هذا العهد على تعامل المسلمين مع النصارى فيما بعد.

منهج البحث:

المنهج الذي سلكه الباحث هو كما يأتي:

١- **المنهج الاستقرائي**: وذلك باستقراء النصوص المتعلقة بالموضوع من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، معتمداً على المصادر المعتبرة، ويستعين الباحث بالكتب والمؤلفات والبحوث والرسائل العلمية والمؤتمرات والندوات والمجلات والمواقع الإلكترونية ذات الصلة بالبحث، وكل ما يعين الباحث في إنجاز بحثه، ويكون ذلك في كل فصول البحث.

٢- **المنهج التاريخي**: وذلك بالرجوع إلى المصادر التاريخية القديمة والجديدة المعتمدة، لنقل الأحداث والوقائع التاريخية المتعلقة ببحثنا، سواء كانت المصادر إسلامية أم نصرانية، ويسلك الباحث هذا المنهج في الفصول والمباحث التاريخية.

٣- **المنهج التحليلي**: ويكون ذلك بدراسة النصوص والوقائع التاريخية وتفسيرها وبيان مضامينها، وبيان مايصلح منها للاستدلال وما لا يصلح، ومناقشة الآراء المختلفة وترجيح الأقوى منها، وكل ذلك وفقاً للقواعد والضوابط التي وضعها العلماء للترجيح والقبول.

٤- **المنهج النقدي**: وذلك بتقويم وتصحيح المفاهيم والاجتهادات الخاطئة التي فُهمت واستُنبطت من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قديماً وحديثاً، والأحكام القاسية التي تتعارض مع سماحة الإسلام والمقاصد الشرعية، والتي بُنيت على روايات ضعيفة وواهية، ثم أُدخلت في كتب الفقه الإسلامي، وكذلك تقويم المفاهيم الخاطئة التي وسّعت دائرة التسامح على نحو تعارض قواعد الولاء والبراء، وعدالة الأحكام الإسلامية.

الدراسات السابقة:

إن هذا البحث يتناول موضوع تسامح الإسلام مع النصارى في مدينة القدس وفي زمن تأسيس الحكم الإسلامي فيها، ويتناول أيضاً العهود والمواثيق التي كتبت للنصارى في ذاك الزمن.

فحسب علم الباحث إن هذا الموضوع وبهذا التحديد لم يدرس من قبل سواء كان في رسالة جامعية أكاديمية أو في كتاب، إلا أن هناك مجموعة من الدراسات حول تسامح

الإسلام، وأخرى في النصرانية وعلاقتها بالقدس، ودراسات تاريخية تذكر كيفية الفتح الإسلامي للقدس، وتعامل المسلمين مع أهلها، والعهود التي كتبت فيها، وأثر تلك العهود على التعايش السلمي بين المسلمين والنصارى في مدينة القدس والمناطق المحيطة بها، وهناك دراسات في موقف المسلمين من النصرانية وحقوق أهل الذمة وواجباتها، فالباحث يمكنه الاستفادة من مجموع هذه الدراسات في فصول ومباحث وجزئيات هذا البحث، فالبحث بعنوانه الحالي ليس تكراراً للدراسات السابقة، بل يشترك معهم في جزئيات، ويأمل الباحث أن يكون بحثه هذا إنجازاً جديداً ويأتي بافكار جديدة، وبما أن عنوان البحث يتضمن مفردات وجزئيات مختلفة، يقوم الباحث بسرد الدراسات السابقة حسب المفردات الموجودة في العنوان، وذلك كالآتي: (دراسات في التسامح الإسلامي، دراسات تاريخية تبحث عن تاريخ القدس والوجود النصراني فيها والفتح الإسلامي لها، ودراسات في موقف الإسلام من النصرانية، وحقوق أهل الذمة وواجباتها، والعهود وتحليلها والطعن فيها من جهة سندها وبنودها).

أمّا الدراسات السابقة التي بحثت في التسامح الإسلامي فهي كثيرة، أشير إلى بعضها:

الموسوعة في سماحة الإسلام[٤]، لمحمد الصادق عرجون. كتاب كبير في مجلدين، ذكر فيه المصنف المصادر الأصلية للشريعة الإسلامية والأصول العامة للتشريع الإسلامي، ثم ذكر عناية الإسلام بهذه الأصول ومدى تأثيرها على التشريع، وهذه الأصول هي: وحدة الإنسانية، وحدة الدين، العدل، الوفاء بالعدل، ونظام الحكم في الإسلام، وذكر تأثير هذه الأصول على سماحة الشريعة، ثم ذكر في موسوعته كل ما يتعلق بالحكم الإسلامي وملامح التسامح فيه من الحاكم والشورى والجهاد والجزية والرق، ثم ختم كتابه بما وصفه بشهادة صدق ممن لايتهم بتعصب للإسلام. والمنهج الذي سلكه المؤلف في كتابه هو المنهج التحليلي النقدي، حيث ينتقد التفسيرات التجديدية المنحرفة المستعارة من الشرق والغرب – على حد قوله– التي تخلع الإسلام من قيود التشريع الإسلامي، ومن جهة أخرى ينتقد الذين يقفلون باب الاجتهاد على الأمة الإسلامية، و يحجمون فضل الله وواسع رحمته، ويضيقون على الناس ما وسّعه الله لهم، ويعتبر المصنف تجميد الفقه الإسلامي إهدارًا لكرامة العقل

---

[٤] محمد الصادق عرجون، **الموسوعة في سماحة الإسلام** (جدة: دار السعودية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

البشري التي رفعها الإسلام وأقام منارها، وهذا الكتاب يفيد الباحث لإثبات سماحة الإسلام وشموله لجميع جوانب الحياة، ويفيده أيضًا في تحليل النصوص المتعلقة بسماحة الإسلام، ويختلف عن بحثي في كونه عامًا وبحثي خاص في سماحة الإسلام مع النصارى في القدس وفي العهد العمري تحديدًا.

التسامح في الإسلام (المبدأ والتطبيق)[٥]، لشوقي أبو خليل. وهذا الكتاب وإن كان صغيرًا في حجمه إلا أنه حوى معلومات وفيرة حول تسامح الإسلام معتمدًا على أدلة من الكتاب والسنة والتاريخ الإسلامي وشهادات الغربيين، فبدأ كتابه بحوار مع مستشرقة فرنسية لم يذكر اسمها حول تسامح الإسلام، وهذا الحوار هو السبب لتأليف كتابه، ثم شرع في معاني التسامح في القرآن والسنة، وبيّن كيفية انتشار الإسلام مقارنة بانتشار الشرائع الأخرى، ورد على المستشرقين الذين اتهموا الإسلام بالتعصب. والمنهج الذي سلكه المؤلف هو المنهج الاستردادي التحليلي النقدي، ومع قلة صفحات الكتاب واختصاره، إلا أن الباحث يستفيد من هذا الكتاب من حيث المفردات المدروسة فيه ومن حيث المنهج الذي سلكه المؤلف، وتضيف إليه دراستي مظاهر تسامح الإسلام وخصائصه.

تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام[٦]، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الثقافة الإسلامية من كلية الشريعة بجامعة الإمام في الرياض للباحث عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف الحسين. قسم الباحث رسالته إلى ثلاثة أبواب: باب تمهيدي في تعريف وتوضيح مصطلحات البحث، وضوابط التسامح، وخصائصه، والباب الثاني يبحث في أسس التسامح في الغرب وأهدافه ونقدها، والباب الثالث في مجالات التسامح في الغرب ونقدها وآثارها على المسلمين، وتشتمل الرسالة أيضاً على خاتمة وملحق يتضمن نشرة خاصة عن سنة الأمم المتحدة للتسامح١٤١٥هـ/١٩٩٥م. فهذا البحث في جملته يركز على تسامح الغرب مع المسلمين، ولكن الباب التمهيدي يفيدني في بحثي؛ لأنه يعطي صورة كاملة عن تسامح الإسلام وضوابطه وخصائصه. والمنهج الذي

---

[٥] شوقي ابوخليل، **التسامح في الإسلام، المبدأ والتطبيق** (بيروت: دارالفكر المعاصر، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

[٦] عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف الحسين، **تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دراسة نقدية في ضوء الإسلام** (الدمام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

سلكه الباحث يقوم على أساس نقد تسامح الغرب من زاوية الفكر الإسلامي، ودراستي تتعلق بتسامح الإسلام مع النصارى.

وهناك كتاب باسم ***Justice and Tolerance in the Quran***[٧] للباحث Harun Yahya. وهذا الكتاب يبحث عن العدل والتسامح من خلال القرآن الكريم، فيذكر أهمية الالتزام بالعدل والتسامح مع الناس كافة دون النظر إلى لغتهم أو جنسهم أو عرقهم، والأخذ بالعدالة ولو كان علي أنفسهم أو أقاربهم، وبيان أن بغض قوم لا يمنع العدالة معهم، ثم يبين المؤلف أن الله أرسل الرسل لإقامة العدل والتسامح في المجتمعات، ويأتي بنماذج من حياة النبي ﷺ على تسامحه مع غير المسلمين، ووقوفه ضد مظاهر التفرقة والعنصرية، وحال أهل الكتاب في ذاك الزمن، ثم يتطرق إلى أهمية العقود التي أبرمت مع أهل الكتاب والمشركين وبيان التسامح فيها، ومن أبرزها دستور المدينة، وخصص الباحث جزءًا من كتابه لتطبيق العدل والتسامح في عهد الخلفاء امتثالًا للآيات القرآنية، ثم يبين منزلة أهل الكتاب في القرآن، وموقف المسلمين تجاههم. وضرورة احترام أماكن عبادتهم، ويختم كتابه بنماذج الأمن والسلام الذي عاشه غير المسلمين تحت سلطة السلاجقة والعثمانيين، وهذا الكتاب يفيد الباحث في بحثه في موضوع إثبات التسامح مع غير المسلمين في القرآن الكريم، ويختلف دراستنا عن هذا الكتاب في كون دراستنا أعم، حيث يبين معنى التسامح ومظاهره وضوابطه في القرآن والسنة وسيرة الخلفاء، ثم يركز على بيان التسامح في الفتح العمري لمدينة القدس.

سماحة الإسلام[٨]، لعمر بن عبدالعزيز قريشي. هذا الكتاب مفيد جدًا في مجال التسامح الإسلامي؛ كونه يشتمل على الرد على جميع الشبهات المثارة حول سماحة الإسلام، والكتاب يحتوي على ثلاثة فصول: ذكر المصنف في الفصل الأول صوراً للتسامح في القرآن والسنة وواقع المسلمين، وخصص الفصلين الثاني والثالث للرد على شبهات المستشرقين حول مفهوم الجهاد وصوره، والفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام، والحدود والتعزيرات، والجزية، وظلم المرأة بين الحقيقة والاتهام، ثم ختم كتابه بخاتمة وجملة من التوصيات، وهذا الكتاب يفيد الباحث في بيان صور التسامح، والرد على الشبهات، كما أن الباحث يمكنه الاستفادة من

[7] Harun Yahya, *Justice and Tolerance in the Quran* (Istanbul: Vural Yayincilik, E1, 2004).

[٨] عمر بن عبدالعزيز قريشي، **سماحة الإسلام** (الرياض: مكتبة الأديب، ط٣، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م).

منهج الكتاب في نقد المخالفين، حيث نقدهم بأقوال المستشرقين، ثم فنّد الشبهة من منظور الإسلام، وبحثنا هذا يضيف إليه توضيحًا لغويًا واصطلاحيًا لمعنى التسامح، وبيان مظاهره وخصائصه.

سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين[٩]، للباحث حكمت بن بشير بن ياسين. وهذا كتيب صغير في حجمه، لكنه حوى آيات كثيرة، وأحاديث، وأقوال الصحابة، ومواقفهم، وآرء الفقهاء عن سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين، وفي التجارة، وقضاء الحق، ودرء الحدود، وفي حالات الضرورة، وهذا الكتاب يفيد الباحث في موضوع إثبات سماحة الإسلام، ومظاهرها، ويختلف بحثي عنه في كونه يركز على حقبة تاريخية معينة وهي العهد العمري، وفي مدينة معينة وهي القدس.

وتختلف هذه الدراسات الست عن بعضها البعض: فالأولى عام في تسامح الإسلام لجميع مجالات الحياة، والثانية تتسم بالاختصار والتركيز على تسامح الإسلام مع غير المسلمين خصوصًا في زمن الفتوحات، والثالثة في نقد تسامح الغرب مع المسلمين والبحث في معنى تسامح الإسلام ومظاهره وخصائصه، والرابعة جعلت العدل والتسامح شيئًا واحدًا، وبحثها خلال القرآن الكريم، والخامسة ركزت على رد الشبهات المثارة حول تسامح الإسلام مع غير المسلمين، والخامسة اقتصرت على المجالات المذكورة آنفا.

وأما الدراسات التاريخية التي تبحث عن تاريخ القدس والوجود النصراني فيها والفتح الإسلامي لها، فمنها:

تاريخ القدس[١٠]، للمؤلف عارف باشا العارف. هذا الكتاب يعتبر عمدة في تاريخ القدس، فهو كما تصفه مقدمة الناشر "... وقد التزم المؤلف بأدق الأخبار والأسرار، كما التزم الموضوعية والنظرة الشاملة... والمؤلف ولد في القدس، وتعلم فيها، وكان رئيسا لبلدية القدس عام ١٩٥١-١٩٥٣، ثم تولى إدارة متحف الآثار الفلسطيني عام ١٩٦٧، ولم يغادر فلسطين حتى توفي عام ١٩٧٣". وقد ذكر فيه تاريخ القدس منذ تأسيسها بأيدي اليبوسيين

---

[٩] حكمت بن بشير ياسين، **سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين** (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ط، د.ت).

[١٠] عارف باشا العارف، **تاريخ القدس** (القاهرة: دار المعارف، ط٢، بدون تاريخ الطبع).